الاكاديميات والكتب والمؤتمرات والجامعات ومعاهد السلك الخارجي) منذ عهد ارنست رينان في أواخر ١٨٤٠ وحتى الزمن الحاضر في الولايات المتحدة الاميركية يجب ان تكون شيئاً أشد هولا من مجرد مجموعة من الأكاذيب . وبناء عليه ، فالاستشراق ليس ثمرة وهمية من ثمرات الخيال الأوروبي عن الشرق . بل يؤلف مجموعة تحتضن طيلة أجيال متعاقبة قدراً لا يستهان به من الاستثمار المادي . فالاستثمار المتواصل جعل من الاستشراق بوصفه منظومة من منظومات المعرفة عن الشرق ، شبكة مقبولة لكي يتسرب الشرق من خلالها إلى الوجدان الغربي ، تماماً مثلما أدى الاستثمار ذاته ــ لا بل جعلها منتجة حقاً وبالفعل ــ إلى مضاعفة الأقوال والتصريحات المنتشرة عن الاستشراق في الثقافة العامة .

لقد أجرى غرامشي التمييز التحليلي المفيد بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي ، حيث يتألف الأول من ارتباطات طوعية (أو على الأقل عقلانية وغير اكراهية) مثل المدارس والعائلات والاتحادات ، ويشتمل الثاني على مؤسسات الدولة (مثل الجيش والشرطة والبيروقراطية المركزية) التي يكون دورها في الكيان السياسي ممارسة السيطرة المباشرة . طبعاً ، يتم العثور على الثقافة وهي تمارس عملها ضمن المجتمع المدني ، حيث نجد تأثير الأفكار والمؤسسات والأشخاص فاعلاً ليس عبر السيطرة ، بل من خلال ما يسميه غرامشي بـ « الموافقة » (القبول) . لذا ففي أي مجتمع غير توتاليتاري (شمولي) نجد أشكالاً ثقافية معينة تسيطر على الأخرى ، مثلما أن بعض الأفكار هي أشد تأثيراً ونفوذاً من غيرها . وشكل هذه الزعامة الثقافية هي ما عرفه غرامشي بـ « الهيمنة » ــ وهي مفهوم لا غنى عنه في أي فهم للحياة الثقافية داخل الغرب الصناعي . فالهيمنة ، أو بالأحرى النتيجة التي تسفر عنها الهيمنة الثقافية حين تمارس عملها، هي التي تسبغ على الاستشراق المتانة والقوة اللتين قد تحدثنا عنهما حتى الآن . والاستشراق لا يبعد أبداً عما دعاه دنيز هاي بـ « فكرة اوروبا »[٣] وهي كناية عن مفهوم جماعي تعرف « نحن » الأوروبيين مقابل جميع « أولئك » غير الأوروبيين . ويمكن المجادلة حقاً بأن العنصر الرئيسي في الثقافة الأوروبية هو بالضبط ما جعل تلك الثقافة مهيمنة داخل اوروبا وخارجها على السواء : أي باعتبار فكرة الهوية الأوروبية فكرة متفوقة على كل ما عداها وبالمقارنة مع كافة الشعوب والحضارات غير الأوروبية . هناك بالاضافة إلى ما تقدم هيمنة الأفكار الأوروبية عن الشرق . وهي أفكار تكرر موضوعة التفوق الأوروبي على التخلف الشرقي . وتتجاهل عادة الامكانية القائلة بأن مفكراً أشد استقلالية أو أكثر تشكيكاً قد تكون لديه آراء مخالفة حول المسألة .

وبطريقة ثابتة تماماً يعتمد الاستشراق في استراتيجية على هذا التفوق الموقعي المرن ، مما يضع الانسان الغربي في سلسلة كاملة من العلاقات الممكنة مع الشرق دون أن يفقده ابداً اليد الطولى نسبياً . ولماذا يجب أن يكون الأمر خلاف ذلك ، لا سيما خلال فترة الصعود الأوروبي الباهر منذ أواخر عصر النهضة وحتى الزمن الحاضر ؟ فالعالم والباحث والمبشر والتاجر أو الجندي كان في الشرق أو فكر به ، لأنه **استطاع أن يكون هناك** ، أو كان بمقدوره التفكير به ، دون مقاومة تستحق الذكر من جانب الشرق . واندراجاً تحت العنوان العام : معرفة الشرق ، وضمن مظلة الهيمنة الغربية على الشرق خلال الفترة الممتدة منذ أواخر القرن الثامن عشر ، برز هناك شرق معقد وملائم للدراسة في الأكاديمية ، وللعرض في المتحف ،